

# من يؤيد المساواة؟

المساواة بين العرب واليهود في إسرائيل:  
خلاصة بحث للمواقف

كتابة: نهاد علي وشاي عنبار

تحرير: رون چيرليتس وياسمين هليقي

البحث كاملاً نشر باللغة العبرية في موقع سيكوي الإلكتروني: [www.sikkuy.org.il](http://www.sikkuy.org.il)

أيلول 2011 القدس – حيفا

## خلاصة: نتائج رئيسية، استنتاجات وتوصيات

قام البحث الموجود بين أيديكم بفحص مواقف مواطنين عرب ويهود من مسألة المساواة. تكمن خصوصية هذا البحث في دمج طرق بحثية كمية ونوعية: استطلاع إحصائي للمواقف ومجموعات اختبار، ولدى العرب، أيضاً مقابلات معمقة مع قادة جماهيريين. من خلال الدمج بين هذه الطرق تمكنا ليس فقط من استيضاح مدى الرغبة بالمساواة؛ بل تعمقنا وفحصنا أيضاً أنواع المساواة التي يريدها المواطنون. الثمن الذي أبدى كل طرف (عربي أو يهودي) استعداداً لدفعه من أجل الوصول إلى المساواة، والشروط التي يضعها كل طرف أمام الطرف الآخر.

تكشف النتائج مواقف مركبة عند اليهود، وعدة نقاط خلافية عميقة يصعب جسرها بين اليهود والعرب، لكنها أيضاً مفاجئة من حيث انفتاح اليهود على ضائقة العرب، عبر الإدراك واسع النطاق لغياب المساواة والرغبة في تغيير هذا الوضع:

- تعترف أغلبية واضحة من اليهود (74%) بأن المواطنين العرب يعانون من التمييز بدرجة أو بأخرى، وأعرّب كثيرون عن تعاطفهم مع حالتهم.
- يعتقد 60% من اليهود أن الدفع باتجاه تحقيق المساواة للعرب هو من مصلحة الدولة.
- عدم مساواة مواطني إسرائيل العرب يضابق أكثر من نصف السكان اليهود في إسرائيل (53%).
- نحو 40% من السكان اليهود على استعداد لقبول خطة تقلص الفجوات حتى لو مستهم شخصياً، أي أنهم يصرحون باستعدادهم لدفع ثمن شخصي من أجل تقليص الفجوات.

**إنها نتائج إيجابية مركزية للبحث عند اليهود، وهي تدل على قاعدة متينة تدعم تحقيق المساواة.**

هناك نتيجة دراماتيكية أخرى أسفر عنها البحث هي: التأييد الواسع لدمج المواطنين العرب. يوجد في صفوف المواطنين العرب تأييد جارف للاندماج الاقتصادي (88%) السياسي (81%) والاجتماعي (78%). أما عند اليهود فإن النسبة أقل بكثير، خاصة في المجال السياسي، ومع ذلك فإن الأغلبية تؤيد دمج العرب اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً (70%، 52%، 65% تبعاً). تأييد كلتا المجموعتين للاندماج، والذي يشكل أساساً لمجتمع الشراكة، هو أحد النتائج الإيجابية التي خرج بها البحث. ولكن وجدنا عند العرب علاقة بين الجندر وبين مدى الاستعداد للاندماج في المجتمع الإسرائيلي. أيدت أكثر من 86% من النساء العربيات الاندماج الاجتماعي (نسبة أكبر مما لدى الرجال) ووجهن انتقادات للمجتمع العربي وطابعه المحافظ.

في مسألة واحدة، وجدنا توافقاً بالرأي بين المواطنين اليهود والعرب داخل إسرائيل وهي التطلع إلى دمج العرب في المجتمع الإسرائيلي عبر المحافظة على فصل معين بين المجموعتين السكانييتين. وقد أعرّب 59% من المواطنين اليهود عن تأييدهم للحياة المنفصلة (أي العيش ببلدات منفصلة أو بأحياء منفصلة) لكن بمساواة تامة. على الرغم من أن أياً من المجموعتين غير معنية بحياة مشتركة من ناحية السكن وأنظمة التعليم، إلا أنه يوجد،

كما ذكرنا، تطلع للدمج في الحياة الاقتصادية والاجتماعية. تسعى كلا المجموعتين إلى المحافظة على أطر منفصلة، وفي الوقت ذاته إلى تقليص عدم المساواة. يدرك المواطنون العرب جيداً إسقاطات المساواة وخاصة بعد الاندماج في المجتمع الإسرائيلي، لكنهم لا يخافون من ذلك خاصة في صفوف النساء.

تتعلق نقاط الخلاف الأعمق بين العرب واليهود بمسألة المشاركة في الموارد الرمزية والمساواة فيما يتعلق بطابع الدولة. فقد قال 90 % من المشاركين العرب إنهم يرون مستقبلهم في دولة إسرائيل، لكنهم اعتقدوا أيضاً أن طابع الدولة اليهودي يكرس دونيتهم ويبقي على مكانتهم كأقلية هامشية في الدولة، ويعتبرون ذلك عقبة رئيسية في الطريق إلى المساواة.

تطالب غالبية المواطنين العرب (نحو 80 %) بالمساواة سواء على أساس المواطنة وأقلية قومية أيضاً: مساواة جوهرية في الرموز القومية ومساواة في توزيع موارد البلد. في مجموعة الاختبار للناشطين السياسيين، تمّ الإجماع على أنه فقط عبر تغيير طابع الدولة يمكن أن تتحقق المساواة التامة. نحو 70 % من العرب متشائمون من فرص تحقيق المساواة في إسرائيل، حتى لو عملت الحكومة أو الأغلبية أو الأقلية على تحقيقها. إنها نتيجة هامة من نتائج البحث وتبعث على القلق.

ترى الغالبية لدى مواطني إسرائيل اليهودية الدولة أمراً مفروغاً منه؛ فبالنسبة لهم هذا هو جوهر ومبرر إقامتها ووجودها. عليه، فإن العائق الأكثر وضوحاً وصلابة أمام تحقيق المساواة الكاملة هو عدم استعداد المواطنين اليهود للتنازل عن الطابع اليهودي للدولة، بهويتها وبمن يسيطر فيها: النشيد الوطني، اللغة، العلم، قانون العودة ورئيس الحكومة. الغالبية العظمى غير مستعدة لقبول المساواة في هذا المجال. يتوقع المواطنون اليهود من المواطنين العرب أن يسلموا بوضعهم كأقلية وألا يحاولوا الوصول إلى المساواة الكاملة على المستوى القومي والرمزي. زيادة على ذلك: قسم من الأغلبية اليهودية المعنية بدمج العرب في مجتمع الأغلبية يطلب منهم تغيير جزء من هويتهم. تدل هذه النتائج على فجوة كبيرة وعدم توافق بين مواقف اليهود والعرب في إسرائيل.

كما أظهر البحث أيضاً أنه في قضية "الخدمة" هناك اختلاف عميق في المواقف. إذ يعتقد 74 % من المواطنين اليهود أن على المواطنين العرب تأدية خدمة عسكرية أو مدنية أياً كانت. يتضح من النتائج أن الخدمة تعتبر بنظرهم تعبيراً عن استعداد العرب للاندماج في الدولة والتماهي معها. أما موقف العرب من هذه القضية فهو مناقض تماماً: فقط 28 % من المواطنين العرب أجابوا بأن على المواطنين العرب التنازل أكثر في الخلاف بشأن نوع الخدمة. نجد هنا هوة عميقة بين المواطنين اليهود والعرب تفرض تحدياً أمام العلاقات فيما بينهم. من شأن كل اتفاق مشترك حول هذا الموضوع بين قيادة المجتمع العربي وسلطات الدولة أن يشكل رافعة لزيادة حجم التأييد لتحقيق المساواة.

بالمجمل، وكما يدعى رون چرليتس في الفصل الختامي، تظهر النتائج أنه حتى في واقع اليوم لا يوجد أساس للادعاء بأن الأغلبية تؤيد تلك الجهات السلبية التي تعمل ضد المساواة والشراكة، ولذلك لا يوجد أيضاً مؤشر على أن العلاقات بين اليهود والعرب في طريقها إلى التصعيد السلبي: إذ تعتمد كافة الأطراف والقوى الإيجابية العاملة من أجل تحقيق المساواة والشراكة على قاعدة دعم جماهيرية واسعة تم العثور عليها في هذا البحث. إذا

اتبعت المجموعة المؤيدة للمساواة (خلافاً للاتجاهات التي تدفع للتصعيد) جملة من النشاطات والأفعال لتتراكم وتصبح كما كبيراً حاسماً، سيكون إحداث التغيير في أرض الواقع ممكناً.

فيما يتعلق بالنقاط الخلافية العميقة، يدعي غرليتس في الفصل الختامي أنه يمكن إحداث تحسن كبير في الوضع حتى دون الوصول لتوافقات حول كافة النقاط الخلافية المطروحة، لكن يجب ألا يضعف هذا الأمر التزامنا في السعي للوصول إليها. تقع على قيادة الدولة وقيادة المواطنين العرب مسؤولية العمل بشكل فعال لبلورة هذه الاتفاقات لدى الطرفين.

يرصد التقرير عدة فرص لتحسين وضع المواطنين العرب قديماً نحو المساواة. يشير اجتماع الاعتراف بعدم المساواة مع الاستعداد لتقليصه بين صفوف المواطنين اليهود حتى لو نتج عنه مساس شخصي، إلى حدوث نقطة تحوّل في هذا المجال.

فقد قال يهود كثيرون أنهم يرغبون بالعيش في دولة أكثر عدلاً ومساواة، لكن الكثيرين منهم يراودهم الشعور بأن الوضع الحالي نابع من عدم وجود خيار آخر ولذلك فإنهم يبررونه. وعليه فإنهم يعيشون في نوع من التنافر الذهني الناجم عن التناقض بين تأييدهم للقيم الديمقراطية وبين تسليمهم بحالة عدم المساواة في الدولة. إذا ما تم استغلال هذا التنافر جيداً، عبر إبراز التناقضات الداخلية في مواقف اليهود، فمن شأنه أن يخلق محفزات ودوافع للتغيير. قد يكون أحد الحلول الممكنة حدوث تقدم حقيقي نحو المساواة الكاملة على الصعيد الاقتصادي، مع استمرار النقاش حول القضايا موضع الخلاف. من المهم جداً استخدام وتوظيف استعداد المواطنين اليهود لقوينة التوزيع المتساوي والعاقل للموارد بدرجة أكبر، حتى تصل ميزانيات أكثر للعرب.

من المهم أيضاً العمل صوب القيادة السياسية للمواطنين العرب، وبالأساس إطلاع القادة على مدى استعداد اليهود لدفع المساواة قديماً ومحدودية هذا الاستعداد. وبموازاة هذا النشاط التوعوي والإرشادي في صفوف المواطنين اليهود والعرب، من المهم أيضاً العمل عند متخذي القرارات: أن نوضح لقيادة الدولة أن الجمهور اليهودي في إسرائيل مستعد لدعم مساواة حقيقية أكبر للمواطنين العرب، إذ سيسهل هذا النشاط على الحكومة القيام بخطوات عملية لتحقيق المساواة.

إذاً، لقد بيّن البحث أنه إلى جانب الخلافات العميقة التي تبدو في المرحلة الحالية عصية على الجسر فإن غالبية المواطنين معنية بالمساواة وتريد تنظيم شبكة العلاقات بين اليهود والعرب في إسرائيل.

# إنها مسؤوليتنا الآن

رون جيرليتس

بُذلت في البحث الذي بين أيديكم جهود كبيرة. اسمحوا لي مشاركتكم بتبصّراتي الخمسة في أعقابه.

## 1. الغالبية تريد المساواة

خلال عملي كمدير عام مشارك لجمعية سيكوي، منذ كانون الثاني 2009، أصادف تشكيلة من المواقف والممارسات في مجال العلاقات بين اليهود والعرب. الأصوات والقوى المناوئة للمساواة كثيرة وواضحة. الجهات السياسية والاجتماعية التي تعمل على تقليص حقوق العرب قوية، وتحظى بنفوذ غير مسبوق في حكومة إسرائيل الحالية. وهذه الجهات، للأسف، تتعاضم وتحقق أهدافها في مجالات مختلفة. ولكن قوى أخرى، كثيرة ومتعددة، تعمل بدورها، في نفس الوقت والحيز من أجل تطوير علاقات جيدة وإنسانية وطبيعية بين اليهود والعرب، ومن أجل دفع المساواة قدماً.

ضمن نشاط جمعية سيكوي لتطوير السياسات ألتقي كبار موظفي الوزارات، وأفاجأ كل مرة بوجود موظفين لا يعترفون بوجود سياسة غير متساوية فقط، بل يعملون على سد الفجوات. وليست هذه حالة نادرة بل هي النغمة السائدة. الصحيفة الاقتصادية المركزية في الدولة ("ذا ماركر") تقوم في السنتين الأخيرتين بحملة مثابرة من أجل تقليص التمييز ودمج العرب في الاقتصاد والمجتمع في إسرائيل. وهناك مجموعة من رجال الأعمال المركزيين في الاقتصاد الإسرائيلي، من مركز الخارطة السياسية، ينشطون على نحو دائم ومثابر ويستثمرون موارد شخصية كثيرة من أجل دمج المواطنين العرب في المجتمع والاقتصاد في إسرائيل. وينضم هؤلاء جميعاً إلى العمل الدؤوب الذي تقوم به منظمات المجتمع المدني للدفع نحو مجتمع أكثر تساوياً وتشاركاً وتقوية قواعدها الداعمة. تتوجب الإشارة أيضاً إلى الدعم الفاعل من جهات مركزية من اليهود في أمريكا الشمالية لسيرورات دفع المساواة.

ليس بنيّتي تصوير الوضع على أنه مثالي. لا شك في أنّ كل الجهات الإيجابية أنفة الذكر لا تتفق مع المواطنين العرب (أو حتى معي) على درجة المساواة والمشاركة المنشودة في إسرائيل. لا أتجاهل هذا، لكنني أريد تبيان حقيقة أنّ هؤلاء، بأعمالهم، يعملون بطريقة ملموسة وعملية ومثمرة لتقليص عدم المساواة.

ما أدعيه هو أنّ ثمة وجهتين متناقضتين في المجتمع الإسرائيلي: واحدة تدفع نحو المساواة وأخرى تعارضها؛ واحدة تدفع نحو تحسين العلاقات بين اليهود والعرب وأخرى تدفع نحو تأزيمها؛ واحدة تدفع نحو خلق مجتمع مشترك وأخرى - في المجتمعين - تدفع نحو الانفصال وتجنّب الآخر. هاتان الوجهتان حاضرتان في الساحة الجماهيرية والسياسية، إذا يؤكد البحث وجود قواعد صلبة لكل منهما.

لكنّ البحث يثبت ليس فقط وجود قاعدة دعم واسعة صلبة لوجهة دعم المساواة، بل إنّ الغالبية تدعم هذه الواجهة. ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى النتائج التالية:

- 74% من المواطنين اليهود يعترفون بأنّ هنالك تمييز ضد المواطنين العرب.
- 60% من المواطنين اليهود يرون في دفع مساواة المواطنين العرب مصلحةً للدولة.
- عدم مساواة مواطني الدولة العرب يزعم أكثر من نصف مواطني الدولة اليهود (53%).
- نحو 40% من اليهود يقبلون ببرنامج لتقليص الفجوات حتى لو مسّ بهم شخصياً، أي أنهم يصرّحون عن استعدادهم لدفع ثمن شخصي من أجل تقليص الفجوات.

تبيّن النتائج، إذًا، أنّه حتى في واقع اليوم لا أساس للتوجّه القائل بدعم الغالبية للجهات السلبية، وعليه ما من مؤشّر على اتجاه العلاقات بين اليهود والعرب نحو التآزم. بل على العكس، كل الجهات والقوى الإيجابية – في الوزارات وفي المجتمع المدني، وأيضًا في مكتب صغير في تل أبيب يصرّ على تشغيل عاملين عرب – يستندون إلى قاعدة دعم جماهيرية واسعة تتبعها البحث وكشف عنها. أجري البحث الكمي بين المواطنين اليهود منتصف العام 2009، بُعيد حرب غزة التي أدّت إلى تطرّف المواقف. وحتى تحت تأثير تلك الظروف وجدنا أنّ الغالبية (كبيرة أو متواضعة) من المواطنين اليهود تعترف بعدم المساواة، وتزعم منه، وتعتقد أنّ لدى الدولة مصلحة في تقليصه.

هذا يعني أنّ كل أولئك الناشطين من أجل دفع المساواة هم عملياً طليعة المعسكر بين المواطنين اليهود (وبين الغالبية المطلقة من المواطنين في إسرائيل) المؤمنين بهذا التوجّه. على المجموعة التي تدفع نحو المساواة أن تعلم أنّ الغالبية تؤيد مواقفها. على الموظف الحكومي الذي يحاول تصحيح تمييز استمر 63 عامًا أن يعلم أنّ انتهاج سياسة متساوية ليس واجبه المهني فحسب، بل أيضاً أنّ معظم الجمهور يسانده.

بالمقابل، فإنّ حملة أفيغور لبيرمان ضد المواطنين العرب وتحركات أعضاء كنيست من أحزاب مختلفة ضدهم تستند بدورها على دعم جماهيري يدلّ عليه البحث. لكنها تناقض آراء معظم المواطنين اليهود (وبطبيعة الأمر معظم المواطنين في إسرائيل).

في الوضع الحالي، والذي توجد فيه وجهتان متناقضتان تستندان إلى دعم جماهيري، فمن الواضح أنّ العامل الحاسم هو الممارسات. وإذا ما قامت المجموعة المؤيدة للمساواة بسلسلة من الأعمال وتراكمها ككتلة حرجة، سيكون بالإمكان إحداث تحوّل في الواقع. وهذه مدعاة للتفاؤل.

## 2. ما هو التحدي الحقيقي إذاً؟

إلى جانب هذا، أشار البحث إلى مجالات تنطوي على فجوات كبيرة بين مواقف اليهود والعرب في إسرائيل: الخلاف على قضية الأرض، الخلاف على طابع الدولة، الخلاف على الحاجة إلى تغيير رموز الدولة، وبشكل بارز الخلاف حول واجب العرب أداء خدمة ما. في بعض الحالات نتحدث عن فجوة هائلة، حيث ترى إحدى المجموعات أهمية كبرى في إحداث التغيير بينما ترى الأخرى أهمية كبرى في إبقاء الوضع على ما هو عليه.

صحيح أنه يمكن إحداث تحسين ملحوظ على الأوضاع دون التوصل إلى تفاهات في هذا المجال، لكن يجب ألا يُضعف هذا واجبنا في السعي إليها. يمكن الادعاء أيضاً بأن مطالب اليهود من العرب غير واقعية، أو العكس. لكن إذا ما تمترس كل طرف في موقفه قد نجد أنفسنا ماضين نحو تدهور خطير. لذا يكمن في هذه المواضيع تحد كبير، مائل أمام المجموعتين. ثمة حاجة إلى عمل داخلي لدى كل مجموعة، وإلى حوار متواصل هدفه التوصل إلى تفاهات. يتوجب على قيادة الدولة وقيادة المواطنين العرب العمل بشكل فاعل من أجل بلورة هذه التفاهات، وضد الجهات غير المعنية بالتوصل إليها في كلا الطرفين.

## 3. من يؤيد الاندماج والمجتمع المشترك؟

نتيجة مثيرة أخرى للبحث، هي الدعم الواسع لاندماج المواطنين العرب وخلق مجتمع مشترك في إسرائيل. ثمة دعم واسع جداً بين المواطنين العرب للاندماج الاقتصادي والسياسي والاجتماعي (88% و81% و78% على التوالي). أما لدى اليهود فالنسب أقل (ومن المقلق أن تكون نسبة دعم الاندماج السياسي للمواطنين العرب 52% فقط). لكن ما زالت هناك غالبية تدعم اندماجهم الاقتصادي والسياسي والاجتماعي (70% و52% و65% على التوالي). وهو ما يعني أنّ معظم المواطنين في إسرائيل، اليهود والعرب على حد سواء، معنيين بالاندماج بين المجموعتين، دون ذوبان وفقدان الهوية. لا أتجاهل حقيقة وجود معارضة لدى الطرفين لسيرورات الدمج، أو أنّ البحث وجد أنّ جزءاً من الغالبية اليهودية المعنية بدمج العرب في مجتمع الأكثرية يطالبهم بتغيير أجزاء من هويتهم. لا شك في أنّ معظم العرب غير معنيين بهذا، وبحق؛ إذ يطمح معظمهم إلى خلق حيز مشترك يتيح مكاناً وحضوراً متساويين لكلتي المجموعتين. نقطة التوتر هذه تشكل تحدياً بارزاً في منظومة العلاقات بين اليهود والعرب.

ورغم هذا كلّ، رغم الصراع ورغم حاجز الخوف (لدى اليهود) والعدائية (لدى الطرفين)، فإنّ غالبية المواطنين يريدون خلق سيرورة دمج، أو على الأقل يدركون، أنّ الحيز المشترك هو ما يتطلبه الواقع. وهذه مدعاة أخرى للتفاؤل.

#### 4. هل يدعم البحث المتشائمين أم المتفائلين؟

بطبيعة الأمر، سيجد كل شخص في البحث ما يعزز قراءته للواقع. ففي ما يتعلق بمستقبل العلاقات بين العرب واليهود في هذه الآونة، لا يبدو الأفق مشرقاً للجميع. ولكن البحث الذي أمامكم هو فرصة للتمحيص في المواقف بعمق: وليس تلك الصارخة في عنوان رئيسي بصحيفة بعد هيجان أحد نواب "إسرائيل بيتنو" والمتعاونين معه من الأحزاب الأخرى. لا أنوى التعبير عن تفاؤل مفرط، وإنما محاولة تسليط حزمة من الضوء عوضاً عن اليأس من الظلام. والمواقف، في العمق - حسبما يبيّن البحث - هي أنّ غالبية المواطنين تؤيد المساواة بين اليهود والعرب في إسرائيل. السؤال هو لمن ستكون الغلبة، ومن سيصمّم واقع حياتنا وحياتنا أبنائنا.

#### 5. والآن؟ إنها مسؤوليتنا

نحن هنا، عرب ويهود، إزاء وضع متغيّر؛ وضع يتغيّر على نحو مقلق وسريع. إذ ترسم استطلاعات الرأي بين الشبيبة في إسرائيل صورة مقلقة جداً، ولكن البحث الذي أمامنا يبيّن أنّ ثمة دعم للمساواة في أوساط الجمهور البالغ. لم ينضب أملنا بعد، شريطة أن نفهم أننا مدعوون للعمل.

سنتصدى، يهوداً وعرب، للتمييز اللين والخفي والبيروقراطي، وكذلك للتمييز الشديد والعنفي والفظ. سنتصدى ونكافح التحريض والعنصرية والإقصاء والانعزال. وبما لا يقل أهمية: سنكافح اليأس أيضاً، والذي بات من "ربع خُشّ البيت". سنتصدى ونكافح بعزم، مؤمنين بصحة طريقنا، ومن المستحسن أن نفعل هذا بالعمل المشترك، لأنّ النضال من أجل المساواة والمجتمع المشترك يحتاج لدعم الجانب الآخر ولا يمكن أن يحدث بشكل أحادي الجانب.

نحن معسكر واسع. معظم المواطنين معنا. سنرفع راية المساواة والديمقراطية والتشارك. لن ننسى أنّ نضالات كثيرة مشابهة نجحت أمام قوى ظلام لا تقل ضراوة عنها هنا. هذا المكان عزيز علينا جميعاً، عرب ويهود على حد السواء. يمكننا أن نقرر: هل نسمح للقوى الساعية لهدمه بالنجاح، أم أن نعمل من أجل مجتمع ديمقراطي، متساوٍ ومشترك.

الزمام في أيدينا. ولن يقوم بهذا أحد سوانا.